دور الإيمان في إيقاظ الشعور بالرحمة والشفقة من المنظور النفسي

د. منيرة محمد صالح المرعب(*)

مقدمة

لقد ظهر سعيد النورسي في فترة حرجة، كانت أحوج ما يكون إلى الإمام لتنمية الإحساس بالحياة، والقدرة على الإشباع العاطفي البناء، والمساهمة الفعالة في ترسيخ الإيمان.

فعندما تعرضت الأمة الإسلامية لتكالب شرس، أدرك سعيد النورسي: أن ميدان الجهاد بالنسبة له قد انحصر في تربية النفوس على الإيمان، فالذي يتعرض الآن للهجوم ليس القلاع الخارجية للإسلام بل أسس الإيمان نفسه، لذا فقد أصبح من أوجب واجبات الإمام هو إنقاذ الإيمان، والارتفاع إلى مستوى قدرة التصدي الحاسم لكل الهجمات الموجهة إلى الدين والعقائد، وهذا يتطلب زاوية نظر تخاطب العقل الإنساني، وكذلك قلبه وسائر ملكاته النفسية، وهذا يستوجب فهم كتاب الكون بشكل يشبع الروح والعقل وعصرنا يذكرنا بعصر الجاهلية الذي سبق القرآن، فعصرنا هو عصر الأنانية وعصر النفس الإمارة بالسوء المنطلق حسب أهوائها(١) فلقد هب التغريب واقتلع الإيمان من القلوب، وأسس عقائد جديدة تقوم على المادية الجافة التي تنبع من الروح. ومن هنا جاءت صيحة بديع الزمان سعيد النورسي دعوة إلى انقلاب روحي أحسه هو في نفسه أولا، وأحس سعيد النورسي بان العالم الإسلامي في حاجة إلى مثل هذا

(*) الأستاذ المساعد في قسم علم النفس - عميدة كليات البنات – جامعة حائل - المملكة العربية السعودية.

(١) أور خان محمد على: سعيد النورسى في نظر مفكري الغرب، سوزلر للنشر القاهرة، سنة ٢٠٠٤م، ص ٣٥.

الانقلاب الروحي[١] لذا قامت رسائل النور بإنقاذ الإيمان[٢] في نفوس المؤمنين واضعةً نصب أعينهم ست أسس لئلا ينخدعوا وتتلخص فيما يلي:

١- أنها تضع بدلا من الخوف والوقوع في الأوهام، الإيمان بالقدر.
٢- أنها تضع بدلا من الحرص والطمع، الإيمان بالله وهو الرزاق ذو القوة المتين.
٣- أنها تضع بدلا من حب الجاه، ابتغاء مرضاة الله النابعة من الإيمان به سبحانه وتعالى.
٤- أنها تضع بدلا من الإحساس والمشاعر العنصرية، الإيمان بالرسل الكرام وفى مقدمتهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.
٥- أنها تضع بدلا من الأنانية وحب الذات، الاعتراف بعجزنا ونقصنا مع الإدراك التام أننا مكلفون بأداء الخدمة، والعمل للقران الكريم.
٦- أنها تضع بدلا من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة، الإسراع إلى العمل للقرآن الذي كل ساعة منه تعدل يوماً من العبادة، وتجعلنا نعطي للوقت حقه، ونستمسك بالعمل بالقرآن.[٣]

من القضايا التي تعرض لها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في إنقاذ الإيمان بحوث العلماء المسلمين حول الفروق بين الإيمان والإسلام، ولكن قبل أن نبدأ في البحث حول هذه الفروق، سأقدم تعريف الإيمان والإسلام في اللغة والاصطلاح.

أولاً: الإيمان في اللغة:

الإيمان لغة: التصديق[٤]، وورد في المعجم الوسيط أن (الإيمان) هو التصديق يقول الشيخ على بن محمد الجرجاني في كتابة (معجم التعريفات) الإيمان في اللغة "التصديق بالقلب". ويقول: الشيخ محمد بن أبى بكر الرازي[٥] الإيمان لغة هو

---

(١) ا. د. أحمد عبدا لرحيم السائح: الإمام سعيد النورسى وأثره في ترسيخ الإيمان، بحث منشور في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي باسطنبول ٢٠٠٤م.
(٢) الملاحق: ملحق أمير دماغ ص ٢٥٩.
(٣) الإمام بديع الزمان سعيد النورسى: الملاحق – ملحق بارلا من ص ٥٥- ٦٠.
(٤) لسان العرب: لابن منظور، مادة (أ م ن)، وينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (أ م ن).
(٥) محمد بن أبى بكر الرازي – مختار الصحاح – دار الفكر بيروت.

التصديق. ويقول: أبو القاسم الزمخشري[١] "وما أنت بمؤمن لنا" أي بمصدق، وما أومن بشي مما نقول ما أصدق وما أثق بمؤمن لنا " ويرى الشيخ ابن تيمية (أن الإيمان) لغةً هو التصديق الذي معه أمن دون التصديق المجرد.

ثانياً : الإيمان اصطلاحا :

للعلماء في تعريف الإيمان في الاصطلاح اتجاهين:

- **الأول :** تعريف الإيمان باعتباره متعلقاً بالدين، وباعتبار علاقته بالإسلام والإحسان.

- **الثاني :** هو تعريف الإيمان باعتبار حقيقته وما يترتب على هذه الحقيقة من مسائل مثل زيادة الإيمان ونقصانه.

يذكر حسن أيوب في كتابة (تبسيط العقائد الإسلامية[٢]) تعريف الإيمان فيقول "هو الدين بالضرورة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقضاء والقدر خيره وشره، وكالإيمان بفريضة الصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بتحريم القتل ظلماً للنفس المعصومة وتحريم الربا والزنا وغير ذلك.

أن رسالات الأنبياء جميعاً دعت إلى هذا الأصل الخالد: "الإيمان بالله واليوم الآخر"

ثالثا: الإسلام في اللغة : من أقوال العلماء في تعريف الإسلام في اللغة

١- الإسلام هو الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض[٣]

٢- الإسلام هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم.[٤]

٣- أورد الشيخ عبد الله العلايلى في كتابة الصحاح في اللغة والعلوم ما يفيد أن معنى الإسلام التسليم التام حيث قال: وأسلم أمره إلى الله أسلم سلم وأسلم أي دخل في السلم وهو الاستسلام، وأسلم من الإسلام.[١]

---

(١) أبو القاسم الزمخشري – أساس البلاغة – دار المعرفة / ١٩٧٩م.

(٢) حسن أيوب: تبسيط العقائد الإسلامية –الطبعة السابعة-دار التراث العربي١٩٨٦م

(٣) العز بن عبد السلام، معنى الإيمان والإسلام أو الفرق بين الإيمان والإسلام، تحقيق إياد، خالد الطباع – طبعه أولى، دار الفكر- دمشق ص١٧

(٤) المرجع نفسه ص١٧

وورد في معجم لسان العرب أن الإسلام له معنيان الأول الاستسلام والثاني إخلاص العبادة لله تعالى فقال" يقال فلان مسلم وفيه قولان، أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله. العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، سلم له الشيء أي خلص له، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: انه قال (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) قال الأزهري فيما معناه انه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه وقيل دخل في الإسلام فسلمت من شره.[٢]

رابعا الإسلام اصطلاحاً: وللعلماء أقوال كثيرة منها في تعريف الإسلام اصطلاحاً.

١- يقول محمد بن عبد الله السحيم "عن معنى الإسلام" وقد سمى الله الدين الحق الإسلام لأنه طاعة لله وانقياد لأمره بلا اعتراض، وإخلاص العبادة له سبحانه، وتصديق خبره، والأيمان به، وأصبح اسم الإسلام علما على الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.[٣]

ويقول حسن أيوب في تعريف الإسلام" فمعناه الإيمان والإذعان وخضوع النفس والاطمئنان القلبي، والشعور بالرضا بالنسبة لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من دين وعلم مجيئه عنه بالضرورة أي بدون احتياج إلى سؤال أو كشف وبحث لشهرته بين المسلمين.[٤]

الفرق بين الإيمان والإسلام :

اختلف العلماء في العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام على عدة أقوال، فمنهم من قال أن اللفظين مترادفان، ومنهم من قال إن اللفظين متفرقان، ومنهم من قال إن اللفظين إذا اجتمعا افترقا، وإذا تفرقا اجتمعا.

عدم التفريق بين الإيمان والإسلام :

يقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسى في مؤلفه المكتوبات:

---

(١) الشيخ عبد الله العلايلي: الصحيح في اللغة والعلوم - الطبعة الأولى- دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م

(٢) رواه احمد عن فضائله بسند صحيح.

(٣) محمد عبد الله السحيم: الإسلام أصوله ومبادئه

(٤) حسن أيوب: تبسيط العقائد الإسلامية

" لقد دار بين علماء الإسلام كثيرا بحث حول الفروق بين الإسلام والإيمان، فقال قسم: كلاهما واحد، وآخرون قالوا: إنهما ليسا واحداً، بل لا ينفك أحدهما عن الآخر وأوردوا آراء كثيرة مختلفة مشابهة لهذا.

وقد فهمت فرقا بينهما كهذا:

إن الإسلام التزام، والإيمان إذعان، أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له، أما الإيمان فهو قول الحق وتصديقه ولقد رأيت- فيما مضى - بعضا ممن لا دين لهم، يظهرون ولاء شديد لأحكام القرآن، بمعنى أن ذلك الملحد قد نال إسلاما بجهة التزامه الحق فيقال له: مسام بلا دين، ثم رأيت بعض المؤمنين لا يظهرون ولاء لإحكام القرآن، ولا يلتزمون بها، أي إنهم ينالون عبارة، مؤمن غير مسلم.

ترى!! أيمكن أن يكون إيمان بلا إسلام سبب النجاة يوم القيامة ؟

الجواب: كما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة.

فلله الحمد والمنة: أن موازين رسائل النور، قد بينت ثمرات الدين الإسلامي، وحقائق القران ونتائجهما، بيانا شافياً وافياً - بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم - بحيث لو فهمها حتى من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موال لها".[١]

خدمة الإيمان أجلّ وظيفة:

يقول النورسي "احذر يا أخي من الأنانية و الغرور و تجنب كل ما يؤدي إليهما وانبذ الغرور والأنانية، لأن أعظم خطر إنما يتأتى من الأنانية والإعجاب بالنفس"[٢] حقاً، إن حب الإنسان لنفسه، وتحري مصلحته وحده، وحبه لذاته وحده من الأشكال الخبيثة لـ (أنا والأنانية) وإذا ما اقترن العناد والغرور بذلك الميل، تولدت فظائع بشعة، بحيث لم يعثر له البشر على اسم بعد. لذلك فمن الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢) تبين استعداد الإنسان إلى الظلم الرهيب المغرور في فطرته، فالذي تمكن فيه الحرص والأنانية فيصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق أهوائه، حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع. و لاشك أن الأنانية من الأمراض

---

(١) المكتوبات: المكتوب التاسع ص ٤٣ – ٥٢

(٢) الملاحق: ملحق أمير داغ، ص٢٦٠

الخطيرة التي يمكن أن تصيب النفس البشرية بسهولة، وهي تتعارض كلية مع الشريعة الإسلامية التي تهدف في مجموعها إلى تفاعل الإنسان مع المجتمع تفاعلاً تاماً، حتى يصير ذلك المجتمع كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً.[١]

تعاظم الأنانية والعجب والغرور في نفس الإنسان :

"إن الغفلة عن المالك الحقيقي جل جلاله سبب لفرعونية النفس، فتتوهم نفسها مالكة لها،فيتشكل في وهمها دائرة لحاكميتها، ثم تقيس الناس، بل الأسباب على نفسها، فتقسم مال الله عليها، فتعارض الأحكام الإلهية، وتبارز مع مقدرات خالقها... مع أن الحكمة في إعطاء أنانية لها: أن تصير واحداً قياسياً لفهم الصفات الإلهية، فأساءت بسوء الاختيار، فصرفتها في غير ما وضعت له".[٢]

وهكذا فإن الإنسان الذي يعتمد على أنانيته وغروره، يقع في شراك ظلمات الغفلة[٣]، ويبتلى بأغلال الضلال القاتلة، ويحق عليه حكم الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٥٧)

أما إذا أغاثت الإنسان الهداية الإلهية، ووجد الإيمان إلى قلبه سبيلا وانكسرت فرعونية النفس وتحطمت، وأصغى إلى كتاب الله، فتصطبغ الكائنات في نظرة بالنهار، وتمتلئ بالنور بالإلهي، وينطق العالم برمته ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (النور:٣٥)

وفي الحقيقة: فإن محبة الإنسان الشديدة لنفسه، والمغروزة فيه ما هي إلا محبة ذاتية، متوجهة إلى ذات الله الجليلة سبحانه إلا انه أساء استعمال تلك المحبة فوجهها إلى ذاته ولذلك يخاطب الإمام النورسي نفسه قائلا "مزقي يا نفسي إذن ما فيك من"أنا" وأظهري "هو" فإن جميع أنواع محبتك المتفرقة على الكائنات، إنما هي محبة ممنوحة لك تجاه أسمائه الحسنى، وصفاته الجليلة... بيد أنك أسأت استعمالها، فستنالين جزاء ما قدمت يداك لأن جزاء محبة غير مشروعة، وفي غير محلها، مصيبة لا رحمة فيها"[٤]

---

(١) خديجة النبراوى: مشكلات نفسية للإنسان وحلول قرآنية، دار سوزلر للنشر ١٩٩٩م، الطبعة الثالثة، ص٨٩٤)

(٢) المثنوى العربي النورى: (قطره) ص ١٢٨ .

(٣) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥١-٣٥٢.

(٤) الكلمات: الكلمة الرابعة والعشرون ص ٤١٣

واستمعي يا نفسي، واتبعي هذا العهد الأزلي، بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران: ٣١) وهكذا يستنكر الإمام النورسي بشدة تعاظم أنانية الإنسان، وعجبه وغروره بنفسه لأنه يوقن يقينا لا حدود له، بقول الله عز وجل ﴿ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٣٨) ومن وحي هذه الآية الكريمة، يخاطب نفسه، ويخاطب كل إنسان يبحث عن الحقيقة فيقول: "يا أنا" المتمرد المغرور المتكبر، انظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك... إذ يبارزك ويصارعك "الحوين" الذي لا يرى إلا بتكبره مرات ودرجات، فتخر صعقاً".[١]

يا أنا!! أراك انك لا ترى تناسباً بينك وبين العلي القدير... فأنت عجز مطلق وفقر مطلق قد تضايقت عليك الحدود والقيود، حتى صرت كذرة، غابت في رمال الجزيئات، وكنحلة تراكمت عليها جبال الحادثات، وكنملة تفاقمت عليها العاصفات.

أما العلي القدير: فهو لانهاية لقدرته وغنائه، ولا حد ولا قيد لتجليات أسمائه وصفاته.... جميع الخلق في قبضة قدرته، والسموات مطويات بيمينه، لا تتحرك ذرة في الكون إلا بإذنه، لا شريك له في ملكه وإلوهيته، ولا منازع له في جبروته وربوبيته، ولا اله إلا هو.[٢]

أيها الإنسان !! إن من دساتير القرآن الكريم وأحكامه الثابتة: أن لا تحسبن ما سوى الله تعالى أعظم منك، فترفعه إلى مرتبة العبادة.... ولا تحسبن انك أعظم من شيء من الأشياء، بحيث تتكبر عليه، إذا يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن " المعبودية " وفي نسبة المخلوقية.[٣]

وصدق الله العظيم، وهو ينهي عن العجب والغرور في قوله تعالى﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)

أخطار الأنانية والغرور على المجتمع الإسلامي:

تعتبر الأنانية والغرور من أشد الأخطار، التي يمكن أن تواجه المجتمع الإسلامي لأنها تؤدي إلى تفكك المجتمع، وسيادة قوى الضلال فيه[٤]. ويقول الإمام النورسي في

---

(١) المثنوى العربي النوري: (حباب) ص ١٧٨

(٢) المثنوي العربي النوري: (ذيل الزهرة) ص٩٣٢

(٣) اللمعات: اللمعة السابعة عشر ص١٦٧

(٤) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان ص٩٦

ذلك: "إن الموالين للضلالة يرومون سحب إخواني عني، مستفيدين من الأنانية والغرور الكامل في الإنسان....

وفي الحقيقة إن أخطر وأضعف عرق ينبض في الإنسان، إنما هو عرق الغرور إذ يمكنهم بالترتيب على ذلك العرق وتلطيفه، أن يدفعوه إلى كثير من المفاسد"[١].

إن أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا "أنا" فهو يجوب وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم "أنا" بهم في وديان الضلالة، فأهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلا بترك " أنا" فعليهم تركه، لئلا يشبهوا أولئك إذ يكونون موضع ظنهم، إنهم مثلهم يعبدون النفس... لذا فإن عدم ترك "أنا" بخس للحق تجاه خدمة الحق.

زد على ذلك أن الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها، ترفض "أنا" وتطلب "نحن"... فلا تقولوا: "أنا"... بل قولوا: "نحن".

فيا إخواني: إن اخطر جهة من الأنانية في عملنا هذا، هو الحسد والغيرة فإذا لم يكن العمل خالصاً لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل، فكما أن إحدى يدي الإنسان لا تحسد الأخرى، ولا تغار منها، وكذا لا تحسد العين أذنه، ولا يغار قلبه من عقله... كذلك أنتم، فكل منكم في حكم عضو وحاسة في الشخص المعنوي لجماعتنا هذه... فواجبكم الوجداني ألا يحسد بعضكم بعضاً بل يفتخر ويسعد بها".

ويقول النورسي" بقي هناك أمر آخر، وهو أخطر الأمور، وهو وجود الحسد والغيرة فيكم أو فى أحبابكم.[٢]

ما هو الحسد ؟

إن الحسد داء نفس رهيب، لا ينجو منه إلا من رحم ربي، وهو ذا اثر خطير على نفسية الإنسان أولا، ثم على حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.[٣]

ويعرفه الإمام النورسي بقوله: " إنه مشاعر الحقد والغل والعداء التي توغر قلب الإنسان تجاه أخيه الإنسان، وما يتبع ذلك من تحيز وعناد وشقاق في أوساط

(١) المكتوبات: المكتوب التاسع والعشرين ص٥٤٩-٥٥١

(٢) المكتوبات: المكتوب التاسع والعشرون ص٥٥٨

(٣) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان ص٦٨

المجتمعات وهو مرفوض كلية، حيث ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام، الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى"[١]

فالذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة، تجاه إخوانهم المؤمنين، إنما يظلمون أنفسهم قبل ظلمهم لإخوانهم فضلا عن تجاوزهم حدود الرحمة الإلهية حيث إن بالحقد والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم، فيقاسى عذابا، كلما رأى نعمة حلت بخصمه، ويعاني ألما من خوفه... والحسد أشد إيلاما للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء أو يتضرر طفيفاً.[٢]

أضرار الحسد على المجتمع الإسلامي:

إن الحسد يؤدي إلى التفرق و التحزب في الأمة الإسلامية، حيث يحاول الحاسد دائما هدم مسالك الآخرين، أو الطعن في وجهة نظرهم، وإبطال مسلكهم لا لسبب إلا لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة بالسوء التي تريد التسلط والاستعلاء، وإشباع شهوات نفس فرعونية.[٣]

وقد وجه تلاميذ الإمام النورسي له سؤالاً هو " لماذا يختلف أصحاب الدين والعلماء، وهم أهل حق ووفاق ووئام بالتنافس والتزاحم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة، بل أهل الضلالة والنفاق، من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم.

وقد أجاب النورسي-رحمه الله- على ذلك السؤال إجابة شافية، تبين كيف أن التحاسد يضيع على الأمة الإسلامية كثيراً من ثمرات العمل الإيجابي، الذي يبذله أفرادها. "إن اتفاق أهل الضلالة نابع من ذلتهم، واحتياجهم إلى اكتساب القوة ومعاونة الآخرين، والاتفاق معهم... بينما أهل الحق، لا يرون وجه الحاجة إلى معاونة الآخرين، لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوى يمدهم بسند عظيم، ويبعث فيهم التوكل والتسليم... إنما اختلافهم وما يتبعه من غيرة وحسد، ناتج عن المبالغة في الحرص على ثواب الآخرة، وطلب الاستزادة منها دون قناعة، وحصرها على النفس. ويرد عليهم الإمام النورسي قائلا أيضا" اعلموا أنه ما ينبغي أن يكون حسد ولا منافسة ولا غيرة في أمور الدين و الآخرة... ذلك لأن منشأ الحسد والمنافسة، إنما هو من تطاول

(١) المكتوبات: المكتوب الثاني والعشرون ص٣٣٩-٣٤٥

(٢) المكتوبات: المكتوب الثاني والعشرون ص٣٤٧.

(٣) المكتوبات: المكتوب الثاني والعشرون ص٣٤٧.

الأيدي الكثيرة على شيء واحد، وحصر الأنظار إلى مقام واحد وشهية المعدات الكثيرة إلى طعام واحد. فتؤول المنافسة و المسابقة والمزاحمة إلى الغبطة والحسد[١].... ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبة الكثيرة، وحيث أن هناك الكثيرون يتهالكون على شيء واحد، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة... أما في الآخرة الفسيحة: فلكل مؤمن جنة عرضها السماوات والأرض تمتد إلى خمسمائة سنة، ولكل منهم سبعون ألفا من الحور والقصور فلا موجب هنا للحسد والمنافسة قط، ويدلنا هذا على انه لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة، تفضي إلى الآخرة، فمن تحاسد فهو لا شك مرائي، أي يتحرى مغانم دنيوية تحت ستار الدين، ويبحث عن منافع باسم العمل الصالح، أو أنه جاهل صادق لا يعلم أين وجهة الأعمال الصالحة، ولم يدرك بعد أن الإخلاص روح الأعمال الصالحة وأساسها، فيتهم سعة الرحمة الإلهية كأنها لا تسعة، ويبدأ بالحسد والمنافسة. والمزاحمة، منطويا في قراره نفسه على نوع من العداء مع أولياء الله الصالحين الصادقين، فيضيع على نفسه، وعلى كثير من المسلمين، فرصة الاستفادة من توجيهاتهم المثمرة البناءة التي تعالج انحراف الإنسان والمجتمعات.

وبذلك فإن الحسد في أمور الدين والآخرة، يجب ألا تصدر من مسلم لأخيه المسلم، لأن رحمة الله واسعة... بل ذلك النوع من الحسد، يجب أن ينحصر في قلوب الكفار فقط، كما أخبرنا بذلك المولى عز وجل فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة : ١٠٩) وهذا هو أشد أنواع الحسد، لأنه يهدد كيان الأمة الإسلامية بأسرها، لأنه يعرضها لحقد وانتقام أهل الضلالة والإلحاد[٢] ولما كانت لهذا الحكيم معرفته بالنفس الإنسانية، وأنها كالجسم تسعد وتشقى، وتصح وتمرض، وتتسامى وتتسافل، هي كذلك كالجسم بحاجة إلى وقاية قبل الإصابة وبحاجة إلى علاج إذا سقطت فريسة الأوبئة التي تنتاب النفوس المظلمة التي فقدت مناعتها.[٣]

---

(١) اللمعات: اللمعة العشرون ص٢١٩

(٢) اللمعات: اللمعة العشرون ص٢٢٣.

(٣) أ.د/أحمد عبد الرحيم السائح: الأمام سعيد النورسي وأثرة في ترسيخ الإيمان، ص٧٧.

ولما كانت للإمام الشيخ بديع الزمان معرفته بهذا، استطاع أن يضع رسائل ومصنفات، كفيله باتقاد جذوة الإيمان في نفس الإنسان المسلم حتى يجوب رياض اليقين، وتطل نفسه على نور البصيرة في الرؤية، الذي لا يعتريه غروب، ويتوفر لديه حضور الوازع الداخلي الذي لا يعقبه غياب.. أدرك الرجل بثقافته القرآنية وذكائه الحاد، أن الإيمان قوة لا تدانيها قوة في شد الأعصاب وشحن الخلايا، والطاقات، ولهذا كان لمحاسن الإيمان دور ونتائج ترتبت على الالتزام بهذه المحاسن.[١]

محاسن الإيمان :

يقول النورسي في المبحث الأول من الكلمة الثالثة والعشرين من مؤلف الكلمات "نبين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط في خمس نقاط "[٢]

النقطة الأولى ربط الإنسان بصانعه الجليل

"إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين لأن الإيمان انتساب "

إن الإيمان يربط الإنسان بصانعة الجليل، ويؤكد القران على تلك الوثائق الشديدة، فالإيمان إنما هو (انتساب) لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلى الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجودة، أما (الكفر) فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنيعة الربانية وتطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يعتد بها، فهي في حكم المعدوم لكونها فانية زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة[٣]. فالإيمان هنا هو سلوك هادف وواعي وليس سلوك خيالي أو وهمي بل إنساني وعملي يبلغ أقصى درجات الدقة في التحقق حينما يرقى بالسالك ومما يكاد أن يكون معروفاً أن في الإنسان قابلية التأثر، وهو يملك القدرة على التأثير، فكان لابد من صيانة "قابليه التأثير لدية" لكي لا يكون مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السليمة، والذوق الرفيع والكمالات الإنسانية الكريمة.

النقطة الثانية : صلة المؤمن بالكائنات والوجود.

أظهر الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في هذه النقطة صلة المؤمن بالكائنات

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٧.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٤٥.

(٣) الكلمات: المبحث الأول من الكلمة الثالثة والعشرون ص٣٤٥.

والوجود، وبين في وضوح، أن الوجود كله عابد بطبعيتة منصاع لوظيفته.... ولا يسعه إلا أن يطيع ربه في ولاء لا يشوبه استنكاف...بل أنه جميعا من أعلاه إلى أسفله يهتف في البداية من عالم الأزل، بلغة المقهور، أمام عظمة القاهر، وهتاف العابد، تجاه قدسية المعبود، بما سجله الحق.[١] في قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)

إن هذه النقطة التي تبرز صلة المؤمن بالكائنات، ودور المؤمن في الإنقاذ والإصلاح، والصلاح، تجعل سلوك الفرد المسلم، قائما على أساس الاختيار اليقظ الواعي، بعيداً عن العادة الإلية، التي تجعل من السلوك سكوناً رتيباً، لا يعبر عن وعى الإنسان وارتباطه بخالقة.

لذلك جاءت رسائل النور للإمام بديع الزمان تحرص في نقاطها على تثبيت قواعد العقل في أعماق الذات الإنسانية، وكان الإمام بديع الزمان يريد أن يضمن استمرار الإنسان المسلم على فعل الخير وبناء الحياة الإنسانية على أسس من الوعي، والإخلاص، وبمنأى عن النفاق، والرياء، والاحتيال.[٢]

النقطة الثالثة: التوكل برهان إيمان الأمة

إن الإيمان نور، وهو قوة أيضا، فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات، ويتخلص من تضييقات الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه، فيبحر متفرجاً على سفينة الحياة، في خضم أمواج الإحداث العاتية، بكمال الأمان والسلام، قائلاً توكلت على الله. ولا تظنن أن التوكل هو رفض الأسباب وردها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بان الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية. ينبغي رعايتها، أما التشبث بها أو الأخذ بها، فهو نوع من الدعاء الفعلي ومن ثم فطلب المسببات وترقب النتائج، ألا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى".[٣]

وأصبح التوكل على الله من الأسباب القوية لخروج الإنسان من حالة الضياع والعدم والعبث، ولقد حفلت آيات القران الكريم بالدعوة إلى ذلك منها ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق :٣)

---

(١) الكلمات: ص ٣٤٦ .

(٢) م. د/ أحمد السائح: ترسيخ الإيمان عند النورسي ص ٦٣-٦٤

(٣) الكلمات: ص ٣٤٧

أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليق والطيران إلى الجنة فحسب، بل ستجذبه تلك الإثقال إلى أسفل سافلين، فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

النقطة الرابعة: فتح باب الدعاء أمام الإنسان

إن فتح باب الدعاء أمام الإنسان، من أجل النعم الإلهية، حيث تجعله وسيلة قاطعة، ووساطة بين المؤمن وربة، بما يتفق مع الفطرة الإنسانية التي تتلهف إليه بشدة وشوق، حيث الدعاء يخفف وطأة المشاكل على الإنسان، وتجعله أنسانا حقاً، بل سلطاناً، بينما الكافر المحروم من الدعاء، يصبح حيواناً مفترساً في غاية العجز ثم يذكر الإمام بديع الزمان دليلاً واضحاً، وبرهاناً قاطعاً " وهو الفروق بين مرجئ الحيوان والإنسان إلى دار الدنيا " فيقول الإمام النورسى (نعم إن التفاوت بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقاءها إلى الإنسانية الحقه إنما هو بالإيمان وحدة)[١] وهنا يؤكد النورسي على أن اكتمال الإنسانية لن يكون ألا بترسيخ الإيمان.

الخامسة: الاتصال الوثيق بين الإيمان والدعاء

يقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسى " كما أن الإيمان يقتضي الدعاء، فيتخذه وسيلة قاطعة، ووساطة بين المؤمن وربة، وكما أن الفطرة الإنسانية تتلهف إلية بشدة وشوق، فإن الله سبحانه وتعالى، يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غَافِرٍ : ٦٠)

فالعلاقة بين الإيمان والدعاء علاقة لا انقطاع فيها... لان الدعاء تعبير طبيعي عن إحساس نفس، وشعور حي لدى الإنسان، والمؤمن بالله سبحانه وتعالى، يعرف مصدر توجهه، ومبدأ حياته وهو الله سبحانه وتعالى، فيتوجه إلية بروح مؤمنة، مملوءة بالأمل والثقة والرجاء، في حين يظل نقيضه الكافر بالله يعيش حالة من الحيرة والضياع، والبحث غير المجدي، وهو يعيش الإحساس ذاته، ولكن لا يدرى إلى أين يتوجه، لا يعرف الجهة التي يبثها هذا الإحساس والألم، ولا يستطيع اكتشاف الرحمة والحنان، الذي يغمر عوالم الوجود، ويتسع للتجارب مع هذا الإحساس فالدعاء هو من مقتضيات الإيمان بالله،[٢] لأنه وسيلة لربط الإنسان بالله والتوجه إليه، والاعتراف بين يديه، وإظهار حاجة الإنسان وفقره وضراعته، ورغبته في إصلاح نفسه، وإنعاش حياته.

---

(١) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥١

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥٢- ٣٥٣.

وإذا كان الدعاء هو من مقتضيات الإيمان بالله – كما أشار إلى ذلك الإمام بديع الزمان – فإن الفطرة الإنسانية – كما يقرر بديع الزمان تتلهف بشدة وشوق إلى الدعاء، لان الإحساس بالحاجة والشعور بالحيرة، والرغبة في التوجه إلى قوة تساعد على الإنقاذ والخلاص إحساس فالنفس البشرية، ذات الأبعاد المختلفة، والأعماق، والأغوار المعقدة الغامضة.... لا يمكن ملؤها بالحاجات المادية وحدها، مهما يغالي الإنسان في الإشباع المادي.(١)

فليس كل شيء في الحياة يتحقق للإنسان كما يريد، ولا كل شيء يجرى وفق مشيئته، وبذا تبقى الحاجة قائمة، والرغبة. غير مشبعة، والشعور بالحاجة متعاظماً في نفس الإنسان. وتلك حكمة الله الخبير... جعل كل ذلك ليبقى الإنسان مرتبطاً بخالقة. فالدعاء تعبير عن إيمان المسلم، وإقراره بأن الله هو خالق كل شيء.(٢)

الحقائق الإيمانية: الإيمان بالآخرة دعامة الحياة الإنسانية

إن عقيدة الإيمان باليوم الأخر من أهم العقائد وأخطرها في البناء الإيماني لأن تحقيق الإيمان يقتضي الإيمان باليوم الأخر، لتكامل أركان الإيمان في ذات الإنسان (٣) وهذا هو الميلاد الحقيقي على طريق المؤمن في حياته الدنيا والآخرة، لان هذا الإيمان يتوقف علية قبول الإنسان لتشريعات ربة مما يشكل سلوكه ومعاملاته في الدار الأولى ويحقق جزاءه عليها في الآخرة في دائرتي التكاليف الإيمانية، والتكاليف العملية.(٤)

أولاً: مفهوم الإيمان باليوم الآخر

فاليوم الآخر: هو اليوم الذي أمر المؤمن بالإيمان به كما ورد في مفهوم الإيمان "أي الإيمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الآخر"(٥)

---

(١) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥٤.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥٤.

(٣) د/ سامي حجازي: بحث في العلاقة بين العقيدة والأخلاق، مخطوط بكلية أصول الدين. القاهرة.

(٤) د/ سامي عفيفى حجازي، د/ أحمد عبدالرحيم السائح: قضايا معاصرة في فكر بديع الزمان. دار سوزلر للنشر، القاهرة، عام ٢٠٠٥، ص ٢٠١.

(٥) رواه الشيخان.

وهو اليوم الذي يقوم فيه الخلائق لرب العالمين للسؤال عن إعمالهم ومحاسبتهم عليها قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة :٦-٨)

وأيضاً كما جاء في وصف المؤمنين في القرآن الكريم بما انزل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وما انزل من قبله من المرسلين لإيقانهم باليوم الآخر، وان الإيمان لا يكمل إلا به، ويتلخص في إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين للبعث والنشور والحساب والميزان.... مما أعد الله لخلقة في هذا اليوم الآخر، كما ورد عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة :٤). أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان. وبكل وقائع هذا اليوم الآخر.

ويقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: " أنه من المقاصد الأساسية للإيمان الذي هو مفتاح للسعادة الأبدية"[١] المعلن عنه في وصف المتقين قال تعالى ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:١- ٥)

ومع أن الإيمان بالآخرة من جملة الإيمان بالغيب، إلا أننا نجد صفات المتقين في هذه الآيات الكريمة بدأت بالإيمان بالغيب، وانتهت باليقين التام باليوم الأخر لما لهذا الإيمان بذلك اليوم من عظيم المكانة لدى المؤمنين وعلى كل حال، فان الإيمان بالغيب من أعلى درجات الإيمان وارفع منازل التقوى، لأنة اختبار حقيقي لصدق الإيمان، كما أنة فرقان بين الإيمان والكفر، وعلى هذا فالإيمان الذي يتميز به العبد المؤمن الصادق عن الملحد الجاحد هو الإيمان بما قامت الأدلة والبراهين علية نقليه كانت أو عقلية، وهذا شان كل رسالات الوحي الإلهي، وأنه لا يوجد رسول أرسل إلى قومه إلا وقد أنذرهم عذاب اليوم الآخر".[٢]

ولذا يقول بديع الزمان سعيد النورسى: " أن الإيمان بالله تعالى نقطة استناد قوية ونقطة استمداد لا تنضب لترسيخ الإيمان بالله واليوم الأخر".[٣]

---

(١) الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ٦١

(٢) قضايا معاصرة في فكر الإمام بديع الزمان ص ٢٠٤

(٣) الإمام بديع الزمان سعيد النورس: المكتوبات ص ٥٤٥

ومن هنا اهتمت كليات رسائل النور للأخذ بيد الإنسان لتجلية أهمية ترابط أركان الإيمان، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن كليات رسائل النور برهان بديع للقران المعجز البيان وتفسير قيم له وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته، المنطلقة من مقاصده الأساسية متمثلة في:

- التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة [١]

يقول النورسي: "إن هذه المقاصد كالأنهار الجارية التي تنبع من قبلة واحدة أقامها الوحي الإلهي، ممثلة في الإيمان بالله واليوم الآخر وما بينهما ولذا يخاطب بديع الزمان الموجودات قاطبة في مؤلفة إشارات الإعجاز فيقول " نحن معاشر الموجودات نجئ بارزين من ظلمات العدم بقدرة سلطان الأزل، إلى ضياء الوجود - ونحن معاشر بني آدم بعثنا من بين إخواننا الموجودات بحمل الأمانة... ونحن على جناح السفر من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية، ونشتغل الآن بتدارك مفاتيح تلك السعادة وتنمية الاستعدادات التي هي رأس مالنا "[٢] كما يوجه بديع الزمان حديثه للإنسان في المثنوي العربي النورى فيقول " اعلم أيها السعيد الشقي: أن القبر باب باطنه الرحمة وظاهرة من قبلة العذاب.... وأداؤك ومن تحب أكثرهم - حتى كلهم - ساكنون خلف هذا الباب ألم يأن لك أن تشتاق إليهم وإلى عالمهم ".[٣]

ثم يدلل على هذا فيقول: وكلهم خلف باب القبر في رحمة الله ساكنون. فلا بد أن يكون نصب عينك دائما طلب الصراط المستقيم، واتقاء المخالفة ليس هذا فحسب، بل ودوام الافتقار إلى رحمة الله تعالى. وذلك بمعنى إن كان عملك لله تعالى، كان لك كل شيء، وان لم يكن له تعالى كان عليك كل شيء بقدر، فارض بما آتاك تزد يسرا على يسر وإلا زدت مرضاً على مرض[٤]. كما يأخذ بديع الزمان بيد الإنسان في مرشد أهل القران إلى حقائق الإيمان فيقول " أن التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة ثم يفصل هذا البيان فيقول: إذا تفكرت في نفسك فدقق

(١) الإمام بديع الزمان سعيد النورسى: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص٢٢

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢

(٣) الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوى العربي النورى، ص ٢٣٢

(٤) المثنوى العربي الثوري، ص ٢٣٣.

وتمهل وتغلغل وفصله تفصيلا.... وإذا تفكرت في الأفاق فأجمل وأسرع ولا تغص، ولا تخض ألا بقدر إيضاح القاعدة.[١]

والمقصد في دائرتي: التكاليف الإيمانية، والتكاليف العملية.

ومن هنا كانت كليات رسائل النور، وفى مقدمتها الحديث عن الإيمان بعقيدة اليوم الآخر، ليوقظ في نفوسهم ربط الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر.[٢] وليكشف لهم عن ضرورة الإيمان بهذا اليوم في تفسير شهودي كأنهم يرونه قائلاً: أيها المبعوثون أنكم مبعوثون ليوم عظيم وأن باب القبر باب رحمة وليس باب إعدام لمن تحقق لأركان الإيمان، وامتثل لنداء المعصوم (صلى الله عليه وسلم) جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله، قيل: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا.قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله.[٣]

فالإيمان نور لحياة كل إنسان، كما أنة ضياء للعوالم التي يدخلها وما " لا إله إلا الله " إلا مفتاح يفتح ذلك النور ".[٤]

ومن هنا كانت الحاجة إلى تجديد الإيمان في كل يوم، بل في كل ساعة وفى كل لحظة ليكون المؤمن متسلحاً بنور الإيمان من جانب وليكون مستعدا لآخرته من جانب آخر.

والإمام بديع الزمان في إثباته وبيانه لماهية الإيمان باليوم الأخر يلجأ إلى استقراءات تفصيلية من حياة الناس اليومية، ومشاهد الطبيعة المنظورة والتحليلات الفكرية التجريدية ليبنى منها بلغة العصر ومصطلحاتها بيانا ليوم الحساب وأهمية الإيمان باليوم الأخر مستلهما البيان من قول الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم: ٢٥)

حيث تشير هذه الآيات الكريمة إلى أن السموات والأرض بمثابة معسكرين في أتم طاعة وانقياد، ليس هذا فحسب، بل وعلى أتم نظام وانتظام، وما فيهما من مخلوقات راقدة تحت غطاء الفناء وستار العدم تمتثل بسرعة تامة، وطاعة كاملة أمرا واحدا، أو

---

(١) مرشد أهل القران إلى حقائق الإيمان ، ص١٧

(٢) اللمعات: ص ٥٦٤.

(٣) رواه الإمام أحمد والحاكم والنسائي والطبراني بسند حسن عن أبى هريرة

(٤) المكتوبات: ص ٤٢٧

إشارة من النفخ في الصور لتخرج إلى ميدان الحشر والامتحان [١]. ولذا تبرهن كلمات رسائل النور على أنه لا ينكر ضوء الشمس إلا من في عينيه رمد، فمن شاهد هذا لا يقدر على أنظار الحشر واليوم الآخر، وعلى المسلم الالتزام بما ورد في الوحي الإلهي، ولا يعطي عقلة الفرصة ليحلق بعيداً عن النقل لأنة لا يملك وسيلة التحليق في أمر غيبي[٢]، كالحشر الذي هو سوق الناس جميعا بعد إحيائهم إلى الموقف الذي يقفون فيه من الأرض المبدلة للفصل بينهم وهو الموقف الطويل..... الرهيب العصيب..... الذي يقضيه الخلائق في ساحة العدل وقبل أن يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقبل أن يبدأ الحساب حيث مراتب الخلق متفاوتة فيه).

ويؤكد هذا البيان في مجلد اللمعات فيقول : إن الموت باب للدخول في رحاب الوطن الدائم والمقام الأبدي للسعادة الخالدة... كما " أنه دعوة للانتقال من زنزانة الدنيا إلى بساتين الجنة وحدائقها... وهو الفرصة المتاحة لتسلم الجائزة من خزينة فضل الخالق الرحيم"[٣]

ومن هنا كانت الحكمة في أن يكون الموت مجهولا وقته، إنقاذا للإنسان من اليأس المطلق، ومن الغفلة المطلقة، وإبقاء له بين الخوف والرجاء، حفظاً لدنياه وآخرته من السقوط في هاوية الخسران، أي أن الآجل متوقع في كل لحظة، فإن حل بالإنسان وهو سادر في غفلته يكبده خسائر فادحة في حياة الأخروية الأبدية.[٤]

أما الحكمة الإيمانية لليوم الأخر في مفهوم كليات رسائل النور فإن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ينظر إليها بمنظار إيماني، وبغير المنظار الذي ينظر به عامة الخلق، أنه ليس متشائما ينظر إلى الموت بالمنظار الأسود، أنة لا يعتبره نهاية لحياة عزيزة، بل يعتبره مقدمة لحياة خالدة باقية، ومقدمة لرقى دائم ومستمر. وذلك لان العمران لا يكون إلا بعد الخراب، وأن الكنز لا يعثر عليه ولا يستخرج إلا بعد حفر الأرض، وإثارتها، وكما أن الشجرة لا تعطى الثمار حتى تنفتح وتسقط الأزهار، كذلك الروح لا تقوى ولا تجد، ولا تلبس كسوة جديدة حتى يتهدم الجسم الفاني، ويخلع

(١) د/ سامي عفيفي حجازي، د. احمد السائح: قضايا معاصر ة في فكر بديع الزمان ص ٢١٢ – ٢١٣
(٢) الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات ص ٥٠٥
(٣) الإمام بديع الزمان سعيد النورسى: اللمعات ص ٣٢٣.
(٤) المرجع نفسه ص ٣٢٦

العمر البالي وفى هذا المقام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في كلمته الجامعة (أن الدنيا خلقت لكم، وأنكم خلقتم للآخرة)[١]، وهذا البيان الإيماني يوقفنا على أن المؤمن يجمع في حياته بين العمل للدنيا واستخدامها كمنح خلقت لأجله وسخرت له، وبين السعي للآخرة والإعداد لها كغاية خلق لأجلها، ذلك لان الإيمان باليوم الآخر وما فيه يورث الإنسان طمأنينة النفس، مزيلاً الغشاوة عن عينه فينظر بنور الإيمان فيكسبه نماء روحيا ينبئ بلذة الجنة، إيقانا من نجاة أحبته وخلاصهم من الموت والفناء لبقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم.[٢]

من ثمرات الإيمان :

المؤمن من يعتقد بأنه " لا إله إلا الله " أي لا خالق ولا رازق إلا هو، النفع والضر بيده، وأنه حكيم لا يعمل عبثاً، كما أنه رحيم واسع الرحمة والإحسان.[٣] لذا يجد كل شيء بابا ينفتح إلى خزائن الرحمة الإلهية، فيطرقه بالدعاء، ويرى إن كل شيء مسخر لأمر ربه، فيلتجئ إليه بالتضرع، ويتحصن أمام كل مصيبة مستندا إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام، والاطمئنان الكامل أن ما يقلق الإنسان دوما وينغص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره وكيفية دخول القبر، مثلما انتهى إليه مصير أقاربه وأحبابه... فيتوهم الإنسان المسكين أن ملايين من إخوانه البشر، ينتهون إلى العدم بالموت – ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء وراءه، سيذيقه هذا التصور ألما شديداً، ينبئ بآلام جهنم... فالإنسان، خلافاً للحيوان، ذو علاقة مع بيئته، ومرتبط بأقاربه بروابط، وهو كذلك مرتبط بالدنيا برباط وثيق، فهو مرتبط فطرة بالخلود والبقاء، لذلك فإنه يتلوى من ألم العذاب النابع من التفكير في العدم المرتبط بالموت.

وهنا يأتي نور القرآن الكريم فاتحا بصيرته، مزيلا الغشاوة عن عينة فينظر بنور الإيمان، ويعرف أن "الإيمان بالآخرة " كنز عظيم للإنسان الوثيق الصلة بالرغبات والآمال التي لا تنتهي.. فإذا به يكتسب لذة روحية.عميقة، تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته، وخلاصهم جميعا من الموت النهائي، والفناء والاندثار، ومن بقائهم خالدين في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم.[٤]

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأورده البيهقى في شعب الإيمان ٧/ ٣٦٠ بإسناده

(٢) الإمام بديع الزمان: اللمعات ص٣٥٣

(٣) الكلمات: الكلمة الثالثة : ص١٣.

(٤) الشعاعات: ص٢٨٠، الكلمات: ص١٠٤.

وهكذا يصبح الإيمان بالله واليوم الأخر، محوراً للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة، ومداد استمداد القوة وسلوى الإنسان، تجاه هموم الدنيا غير المحصورة، فيتحرر من دواعي القلق، حتى يكون ممن قال الله فيهم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٦- ٣٠) فمن ثمرات الإيمان: أن الإنسان يتمتع بأنة ذو علاقة بما يستأنس به، ولذا كان له ارتباط وثيق مع الحياة الدنيا مثلما أنة مرتبط بأقاربه بروابط ووشائج ليس هذا فحسب بل له ارتباط ونسب فطرى بالجنس البشري.

الإيمان والأخلاق:

ربط بديع الزمان سعيد النورسي الإيمان بالأخلاق والعمل النافع الذي يرمى صاحبة إلى إنفاذ الإيمان من الانفصال عن العمل، والانتفاع بتلك الرسائل الواضحة التي لا تحرض الشعب ضد الحكومة، ولا تدعو إلى تأسيس جمعية سرية تقوم بإخلال الأمن، بل كان جهد هذه الرسائل مركز على هدف وحيد وخدمة وحيدة هي إيفاء خدمة مقدسة للإسلام ولا سيما خدمة مقدسة للأمة الإسلامية من ناحية الإيمان والأخلاق، تلك هي أم الوظائف وهى سبيل الحصول على رضي الله تعالى – وفاعلية ذلك المسلك مرتبطة بالأساس بعدم اشتغال قلوب أتباعها بأهداف وغايات دنيوية، لأن قلوبهم مشغولة بالإيمان وبأمور الآخرة، كما أن الأخلاق المرتبطة بالإيمان رسالة اجتماعية ذلك أن الأخلاق تظهر في موقفك من الإنسان سواء كان مخالفا أو متفقاً معك.[١]

الرحمة والشفقة:

يعود التراحم - بمعناه ومضمونه الإنسانيين - بين البشر إلى الاعتقاد بالقيامة " إذ الرحمة من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمة، والنعمة نعمة إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية، وإلا فالعقل الذي هو من أعظم النعم يكون مصيبة على الإنسان، وبالمحبة والشفقة. اللتان هما من ألطف أنوع الرحمة.تتحولان ألماً شديداً بملاحظة الفراق الأبدي.[٢] وبهذا يظهر جليا أن منح الحياة معنى يؤسس للوظائف الاجتماعية لمقاصد رسائل النور في الأسرة الإنسانية، بعين الشفقة والمحبة يوجب التلطف مع الخلق من جهة وترتيب الأولويات من جهة أخرى.[٣]

---

(١) الشعاعات: ص٦٢٥.

(٢) إشارات الإعجاز، ص٢٩ .

(٣) د/ عمار جدل: الوظيفة الاجتماعية لمقاصد النور دراسة تحليلية بحث منشور في المؤتمر العالمي

الخاتمة

- وقد خلص البحث إلى ما يأتي إن رسائل النور استطاعت أن تنقذ الإيمان في نفوس المؤمنين عن طريق الاهتمام بالمسائل الإيمانية، وأنها ضرورة في هذا الزمان.

- استطاع بديع الزمان سعيد النورسي ،عن طريق إيضاح الفرق بين الإيمان والإسلام، أن يصل إلى إن الإسلام التزام وولاء للحق، وتسليم وانقياد له، والإيمان إذعان وقبول الحق وتصديقه.

- وجد بديع الزمان سعيد النورسي أن أجلّ وظيفة لخدمة الإيمان هو معالجة النفس البشرية من الغرور والأنانية والغيرة والحسد، حتى تستطيع أن تجوب رياض اليقين، ولا يكون ذلك إلا بإيقاظ الإيمان.

- استطاع النورسي أن يوضح من خلال محاسن الإيمان و ربط الإنسان بصانعه الجليل، وبيان صلة المؤمن بالكائنات والوجود، وأن التوكل على الله من الأسباب القوية لخروج الإنسان من حالة العدم والعبث، إلى الأمان والاستقرار للنفس وذلك مما يفتح باب الدعاء فتكون العلاقة بين الإيمان والدعاء علاقة وثيقة لا انقطاع لها.

- إن من يظفر بهذه الرحمة، فقد ظفر بكنز عظيم لا يفنى، كنز ملؤه النور.

- أما طريق الوصول إلى ذلك الكنز العظيم فاعلم: أن أسطع مثال للرحمة، وأفضل من يمثلها، وأبلغ لسان ناطق بها، وأكرم داع إليها. هو الذي سمي في القران الكريم (رحمة للعالمين) وهو رسولنا الحبيب علية أفضل الصلاة و السلام فالطريق الأمثل لبلوغ تلك الخزينة الأبدية، هو إتباع سنته المطهرة والتمسك بالإيمان القوى،

- ولكن كيف يتم الوصول إلى الله ورسوله.. وما الوسيلة إليه ؟

- فاعلم إن الوسيلة هي طاعة الله، والإيمان به، والصلاة على رسوله الأمي الأمين.

- نعم! هي طاعة الله وتنفيذا أوامره والإيمان به والاستسلام لطاعته، والصلاة علية تعنى الرحمة، فالصلاة علية دعاء بالرحمة، لتلك الرحمة المجسمة الحية، وهى وسيلة الوصول إلى من هو رحمة للعالمين.

السابع بعنوان الممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات، باسطنبول عام ٢٠٠٤.

الخاتمة

- وقد خلص البحث إلى ما يأتي إن رسائل النور استطاعت أن تنقذ الإيمان في نفوس المؤمنين عن طريق الاهتمام بالمسائل الإيمانية، وأنها ضرورة في هذا الزمان.

- استطاع بديع الزمان سعيد النورسي ،عن طريق إيضاح الفرق بين الإيمان والإسلام، أن يصل إلى إن الإسلام التزام وولاء للحق، وتسليم وانقياد له، والإيمان إذعان وقبول الحق وتصديقه.

- وجد بديع الزمان سعيد النورسي أن أجلّ وظيفة لخدمة الإيمان هو معالجة النفس البشرية من الغرور والأنانية والغيرة والحسد، حتى تستطيع أن تجوب رياض اليقين، ولا يكون ذلك إلا بإيقاظ الإيمان.

- استطاع النورسي أن يوضح من خلال محاسن الإيمان و ربط الإنسان بصانعه الجليل، وبيان صلة المؤمن بالكائنات والوجود، وأن التوكل على الله من الأسباب القوية لخروج الإنسان من حالة العدم والعبث، إلى الأمان والاستقرار للنفس وذلك مما يفتح باب الدعاء فتكون العلاقة بين الإيمان والدعاء علاقة وثيقة لا انقطاع لها.

- إن من يظفر بهذه الرحمة، فقد ظفر بكنز عظيم لا يفنى، كنز ملؤه النور.

- أما طريق الوصول إلى ذلك الكنز العظيم فاعلم: أن أسطع مثال للرحمة، وأفضل من يمثلها، وأبلغ لسان ناطق بها، وأكرم داع إليها. هو الذي سمي في القران الكريم (رحمة للعالمين) وهو رسولنا الحبيب علية أفضل الصلاة و السلام فالطريق الأمثل لبلوغ تلك الخزينة الأبدية، هو إتباع سنته المطهرة والتمسك بالإيمان القوى،

- ولكن كيف يتم الوصول إلى الله ورسوله.. وما الوسيلة إليه ؟

- فاعلم إن الوسيلة هي طاعة الله، والإيمان به، والصلاة على رسوله الأمي الأمين.

- نعم! هي طاعة الله وتنفيذا أوامره والإيمان به والاستسلام لطاعته، والصلاة علية تعنى الرحمة، فالصلاة علية دعاء بالرحمة، لتلك الرحمة المجسمة الحية، وهى وسيلة الوصول إلى من هو رحمة للعالمين.

السابع بعنوان الممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات، باسطنبول عام ٢٠٠٤.

فيا أيها الإنسان - اجعل الصلاة علية وسيلة الوصول إليه، ثم استمسك به، ليبلغك رحمة الرحمن الرحيم. فان الأمة جميعها بدعائها وصلواتها على الرسول الكريم.

وختاماً أقول: اللهم يا رحمن يا رحيم، وفق المسلمين إلى فهم أسرار القرآن الكريم، وقوى إيمانهم بطاعة الله واغرس في نفوسهم كنزاً من رحمتك يا أرحم الراحمين حتى يحققوا السيادة على العالمين، بتحررهم من الآفات النفسية، ومن الأنفس الأمَّارة بالسوء، وحتى يتحقق الأمن والسكينة للنفوس البشرية، بتعاليم الإسلام السماوية، لقد أسس نبي الرحمة بيئة تنمو فيها الرحمة، لتصبح ثقافة المجتمع الإسلامي، ونجح في جعل الرحمة وسيلة للحفاظ على أصحابه، واستثمرها سلاحاً انتصر فيه على أعدائه في مواطن عدة، كما رأيتم، وهو منهج لم يكن معروفاً لدى الناس من قبل.

المصادر

١- القرآن الكريم، السنة النبوية.

٢- السيرة الذاتية، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دارسوزلر والغنيم للنشر ١٩٩٨م.

٣- الملاحق، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر والغنيم١٩٩٥م.

٤- المكتوبات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر والغنيم للنشر، ٢٠٠٤م.

٥- المثنوى العربي النورى، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر والغنيم للنشر، ٢٠٠٤م.

٦- الكلمات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر والغنيم للنشر ٢٠٠٤م.

٧- اللمعات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دارسوزلر والغنيم للنشر، ١٩٩٣م.

٨- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى دار سوزلر والغنيم للنشر، ٢٠٠٤ م.

٩- مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر للنشر -٢٠٠٤ م.

١٠- الشعاعات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر ولغنيم للنشر، ٢٠٠٤ م.

المراجع

١- أورخان محمد على: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، دار سوزلر للنشر ٢٠٠٤م.

٢- د. أحمد عبد الرحيم السائح: الإمام سعيد النورسي وأثرة في ترسيخ الإيمان، بحث منشور في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي باسطنبول ٢٠٠٤ م.

٣- لسان العرب: لابن منظور، مادة (أ م ن).

٤- معجم مقياس اللغة لابن فارس مادة (أ م ن).

٥- مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازي، دار الفكر بيروت.

٦- أساس البلاغة: أبو القاسم الزمخشرى، دار المعرفة، ١٩٧٩.

٧- المنجد في اللغة: الطبعة السابعة والعشرون، ١٩٨٤م.

٨- تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، الطبعة السابعة، دار التراث العربي ١٩٨٦م.

٩- معنى الإيمان والإسلام أو الفرق بين الإيمان والإسلام، تحقيق إياد خالد الطباع، طبعة أولى دار الفكر، دمشق.

١٠- الصحاح في اللغة والعلوم، الشيخ عبد الله العلايلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥ م.

١١- الإسلام أصول ومبادئه، محمد عبد الله السحيم.

١٢- مشكلات نفسية للإنسان وحلول قرآنية ، خديجة النبراوي، دار سوزلر للنشر الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

١٣- قضايا معاصرة في فكر بديع الزمان سعيد النورسى: د. سامي عفيفي حجازي، د. أحمد السائح دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٥م.

١٤- الوظيفة الاجتماعية لمقاصد النور دراسة تحليلية، د. عمار جيدل ، بحث منشور في المؤتمر العالمي السابع بعنوان (ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات)، باسطنبول، ٢٠٠٤م

١٥- صحيح البخاري، ط٢، ٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.

١٦- صحيح مسلم، مسلم، ط٢، ٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.

١٧- الإمام الترمذي، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢، ص ٩٢٥.

١٨- الإمام الطبراني، ورجاله.

١٩- محمد الراوي- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥م.